وضع الارض في المركز في غاية البعد عن الفلك ولو كان الامر بالعكس لانقلب
الارض لمجاورة حركة الفلك نارا والنار بسبب البعد عن تلك الحركة ارضا ثم وضع
بجنب الارض الماء وبجنب النار الهواء لان المناسبة بين الارض والماء اتم مما بين الارض والهواء
وكذا المناسبة بين النار والهواء اتم مما بين النار والماء فهذا هو الترتيب المحكم ثم
جعل الارض ملونة لتستقر عليها الانوار ولولا ذلك لما تكونت الحيوانات عليها من شدة
بردها ثم دبر تدبيرا انكشف الماء عن بعض جوانب الارض ولولا ذلك لما امكن تكون
الحركات الشريفة ثم جعل ماء البحر ملحا ولولاه لانتن وانتشر فساده الى تلك الارض
ثم انه سبحانه وتعالى جعل شكل البسائط العنصرية والفلكية الكرات لانها اقدم
الاشكال بالطبع واتمها بالذات واحكمها في القوام اما التقدم بالطبع فلاحتياطه
بما يتشكل به يكون بالوحدة التامة واحاطة الاشكال الاخر بما يتشكل بها يكون بالكثرة
اعني الاضلاع والزوايا والوحدة قبل الكثرة واما التمامية فانه ذو حد واحد
وهو المركز وذو غاية محدودة وهي المحيط وذو سطح محدود وهو البعد بينهما و
ليس الحال في الاشكال الاخر كذلك واما حياطته لما يحويه فلانه يشتمل على كل واحد من
مساويا لقطره ولن يشتمل عليه شيء يساويه في القطر واما احكام قوامه فلان سائر
الاشكال تنحل الى المثلث والمثلث ينحل الى الحساير المثلثات والدائرة لا تنحل الى شكل
ولا ينحل اليها ولما كان هذا الشكل اشرف الاشكال وكان الجرم السماوي اشرف الاجسام
لا جرم اقتضت الحكمة الالهية تخصيص الجسم الاشرف بالشكل الاشرف ومن المنافع
فيها كونها شفافة فانها لو كانت ملونة لوقف الضوء على سطوحها واشتد الحر وصار
ذلك سببا لاحتراق العناصر ايضا فالاضواء لا تتصل الينا فيبقى هذا العالم السفلي
في غاية الظلمة ومن المنافع فيها انه قد ثبت بالرصد حركات مختلفة فمنها حركات
متشابهة باسرها اخذة من المشرق الى المغرب وهي الحركة اليومية واخرى على العكس منها وهي
ظاهرة

١٣٥

ظاهرة في السبعة خفية في الثابتة ثم ظهرت لهذه السبعة حركات شمالية وجنوبية
وسريعة وبطيئة ورجوعات واستقامات وثبت ان هذه الاختلافات بسبب كرات
مختلفة يحيط بعضها بالبعض منها موافقة المركز ومنها خارجة المركز وثبت ان
التغيرات الحاصلة في هذا العالم مرتبطة بتلك الحركات ونقول لو لم يكن للكواكب حركة
الميل لكان التأثير مخصوصا ببقعة واحدة وكان سائر الجوانب يخلو عن المنافع الحاصلة منه
وكان الذي يقرب منه متشابه الاحوال وكانت القوة هناك لكيفية واحدة فان كانت حارة
افنت الرطوبات فاحالتها الى النارية ولم تتكون المتولدات فيكون الموضع المحاذي لممر الكواكب
على كيفية وما لا يحاذيه على كيفية اخرى وخط المتوسط بينهما كيفية متوسطة
فيكون في موضع شتاء دائم يكون فيه النضج والفجاجة وفي موضع صيف دائم يوجب الاحتراق
وفي موضع اخر ربيع او خريف لا يتم فيه النضج ولو لم يكن ثم عودات متواليات وكان
الكواكب
الكواكب بطيء الحركة جدا لكان الميل قليل المنفعة والتأثير شديد الافراط وكان يعرض
قريبا مما لم يكن ميل ولو كانت الحركة اسرع من هذه لما كملت المنافع وما تمت فاما اذا كان
ميل يحفظ الحركة في جهة مدة ثم ينتقل الى جهة اخرى بمقدار الحاجة ويبقى في كل جهة برهة
ثم كذلك تأثيره انتظمت مصالح هذا العالم كما ينبغي وبالجملة فالعقول لا تقف الا
على القليل من المخلوقات فسبحان الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقوة الغير المتناهية
ولما نبهنا على مأخذ الدلائل المقتبسة من احوال الانفس والآفاق فلنقتصر على
هذا القدر فان الاطناب فيه لا يحصل الا ببيان حكمة الله في جميع المخلوقات وذلك
خارج عن القوة البشرية فسبحان الله العليم الحكيم وتبارك الله احسن الخالقين
على وجه آخر في اثبات الصانع تعالى تمسك اصحاب المجاهدات بان قالوا الانسان
اذا اجتهد في تزيين الشكوك وجمع الشبه على نفي الصانع ثم نزلت به حادثة معلقة
فانه يجد من نفسه التضرع والالتجاء الى شيء هو الكل منه واقوى وذلك الوجدان

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)